خدعـــة المرشـــــد

- حسن الهضيبى .. أخطر كتبه من تأليف مباحث أمن الدولة .
- مأمون كان الكوبرى بين المباحث والشيخ .. ورأى الإخوان فيه أنه لا يصلح مرشدا .
- عبد الناصر قرر اغتيال الإخوان لسنوات طويلة وأفرج عنهم بعد ٧٢ ساعة .
- الإخوان أباحوا زواج الفتيات من أعضاء الجماعات دون موافقة الأسرة .
- سكرتير حسن البنا يعترف بتدبير الهضيبى لحادث المنشية .
- أديب إخوانى يصف البنا بالدرويش والهضيبى بالألعوبة وقطب بالمحرض .

خدعـــة المرشـــد

سر يذاع لأول مرة :

" دعاه ولسنا قضاه " أخطر كتاب لحسن الهضيبى المرشد العام الأسبق للإخوان المسلمين .. لم يؤلفه الهضيبى ولم يكتب حرفا واحدا فيه .. وإنما صنعته مباحث أمن الدولة .

وإبنه " مـأمون " كـان الكوبرى الذى عبـرت عليـه فـصـول الكتـاب من المباحث .. للشيخ .

مـأمون حى يرزق .. أدعوه أن يغمض عينيه ويأخذ نفسا عميقا ويرجع بذاكرته للوراء ، ويستعيد الشريط .. ليستكمل اللقطات المفقودة .

نحن لا ننبش فى الماضى ولا نوقظ جراحـه القديمة ، لكننا نفتش فى جذور الإرهاب عن الجناه الذين صنعوا - وما زالوا يحركون - كل حوادث العنف فى مصر .

لم يكن معتقلا من الإخوان فى الشهور الأخيرة من حكم عبد الناصر سوى ١١٨ فقط .. كانوا موزعين فى ليمانى طره وأبى زعبل ، ثم جمعوا فى طره .. وعلى رأسهم قادة الإخوان وزعماؤهم مثل مصطفى مشهور وعمر التلمسانى وأحمد شريت وحامد أبو النصر .. بجانب زعماء فكر التكفير الذين ظهروا فى ذلك الوقت .

كان عبد الناصر قد اتخذ قرارا فى أعقاب نكسة ١٩٦٧ بعدم الإفراج عن الإخوان وبقائهم فى السجن لسنوات طويلة .. ولكن السلطات الأمنية عارضت القرار ورأت أنه يخالف الخطة المتفق عليها بالإفراج عن دفعات متتالية من الإخوان ، الذين يعدلون عن أفكارهم العنيفة وكتبنا مذكرة بخط

اليد عرضت على عبد الناصر ووافق عليها ، وقبل مرور ٧٢ ساعة كان قد تم الإفراج عن دفعة جديدة من المعتقلين ، واطمأن الإخوان إلى أن خطة الإفراج عنهم تمضى فى مسارها الطبيعى .

وفى تلك الظروف وصلتنا معلومات عن انتشار فكر التكفير داخل ليمان طرة ، بين مجموعة شباب الإخوان الذين تم اعتقالهم سنة ١٩٦٥ ، والذين كانوا يعتبرون كتاب " معالم فى الطريق " لسيد قطب هو الإستراتيجية التى يجب أن يسيروا عليها .

وبذلك أصبحت خريطة الإخوان فى ليمان طرة موزعة بين ثلاثة اتجاهات.

البناويون .. نسبة لحسن البنا .. وهم زعماء الحرس القديم مثل أحمد عادل كمال وعادل صديق السيد فرج وفتحى البوز والسيد عبد الله الريس وعبد المتعال الجابرى .

الهضيبيون .. وهم المجموعة الجديدة من الإخوان الذين ينبذون العنف مثل فريد عبد الخالق ورشاد المنسى وكمال عبد الرازق .

والقطبيون .. دعاة التكفير والعنف وعلى رأسهم محمد قطب وسيد عيد يوسف وشكرى أحمد مصطفى وعلى عبده إسماعيل .

من الناحية الفقهية ، لم يكن الخلاف حادا بين هذه المجموعات الثلاث ، فهم متفقون على تكفير المجتمعات القائمة وضرورة تغييرها وإقامة الدولة الإسلامية ، ولكن الهضيبيون والبناويون رأوا أن من مصلحتهم عدم إعلان ذلك وتأجيله فى تلك المرحلة ، حتى لا يترتب على ذلك أضرار جسيمة للحركة الإسلامية .. وبرزت هذه الفكرة من أيام حسن البنا الذى رأى إرجاء الإعلان عن هذه الأراء إلى مرحلة يكون فيها الإخوان على درجة من القوة والقدرة للوثوب إلى الحكم ..

وكان الخلاف الرئيسى بين مجموعات الإخوان الثلاثة حول زعامة الإخوان .. البناويون كانوا يرون أنهم أحق بقيادة الحركة لأنهم المؤسسون والحرس القديم الذين عاصروا الدعوة منذ نشأتها ، وكافحوا من أجلها منذ

الثلاثينيات .. والهضيبيون كانوا يحلمون بالزعامة ولكنهم لا يرون فى أنفسهم القدرة على قيادة الإخوان .. واشتد الصراع بين المجموعتين وانقسما انقساما شديدا .. وأوضحت كتابات أحمد عادل كمال وصلاح شادى الحرب التى وصلت إلى حد كشف مجموعة للأخرى .

واستغلت مجموعة سيد قطب هذا الصراع وبدأت تخطط لنشر فكرها الذى يقوم على تكفير المجتمعات القائمة والدعوة للتغيير بالعنف .

وفى ظل هذه الظروف المعقدة ، تلقت شعبة النشاط الدينى مذكرة معلومات مهمة من الضباط المكلفين بمتابعة الإخوان فى طرة .. أبرزت أكثر من ٣٧ قضية حول الفكر المتطرف وأراء التكفير داخل السجن .. أهمها تكفير المجتمع بدعوى أنه مجتمع جاهلى ينتشر فيه الفساد والانحراف .. وتكفير الحاكم بدعوى عدم حكمه بما أنزل الله .. وتكفير المحكومين بدعوى عدم تصديهم للحاكم الكافر .

وانتشرت أفكار التكفير التى غرس بذرتها سيد قطب وتبلورت فى صور عملية ، مثل الدعوة إلى الخروج على الحاكم وعدم طاعته .. وضرورة أن يتولى رئاسة هذه الجماعة أمير يبايع على السمع والطاعة .. واعتزال المجتمع وهجرته .. والتزام الجماعة المسلمة بالسرية داخل المجتمع الكافر .. وتحريم التجنيد بالقوات المسلحة بدعوى أن الجيش كافر لأنه يقوم لحماية الدولة الكافرة .. بجانب تحريم الإذاعة والتلفزيون بدعوى أنها وسائل انحراف وفساد وتحريم التمثيل والتصوير وإطلاق اللحية أسوة بالسلف الصالح .. وتحريم أى زى للمرأة بخلاف النقاب .. وتحريم الذهاب للأطباء لأن الله هو الشافى .

واقترحت المذكرة التحرك بسرعة لمواجهة هذه الأفكار ومعالجتها فى إطار متكامل .. خصوصا وأن القائمين عليها بعض الشباب ممن لا تتوفر فيهم شروط الاضطلاع بالفتوى .. وأخذوا يفسرون الإسلام على هواهم ، مثل إباحتهم أن تزوج المرأة نفسها دون إذن وليها .. واباحة قيام بعض الفتيات بالزواج من شباب الجماعة الدينية دون علم وموافقة الأسرة .

وباختصار شديد كانت هذه الأفكار تعنى العودة إلى عصور الجاهلية الأولى .. وإن واجب " الجماعة المسلمة " هو العمل على تطهير المجتمع من هذا الكفر وإقامة الدولة الإسلامية .

وكان طبيعيا أن نهتم بهذا الفكر بأسلوب علمى وأن نستعين بمجموعة من كبار علماء ورجال الأزهر .. لأنه اتضح أن مثل هذه الأفكار تلقى رواجا شديدا لدى أنصاف المثقفين .. وكان للضغوط الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية التى يعانون منها أثر فعال فى سرعة انتشارها .

وخططنا فى ذلك الوقت لأن نستغل جناحا كان معارضا إلى حد ما لفكر التكفير .. ونجح الأمن فى أن يدفع حسن الهضيبى دون أن يدرى لأن يصدر كتاب " دعاة ولسنا قضاه " .. ليبدى رأيه فى تلك الأفكار .

وحقيقة الأمر فإن حسن الهضيبى لم يشارك بأى رأى أو فتوى فى هذا الكتاب ولم يفعل فيه شيئا ، وإنما تم إعداده بواسطة بعض علماء الأزهر .. ورسمنا خطة أمنية دقيقة لإدخال الأبحاث والآراء لبعض العناصر الإخوانية فى ليمان طره ، وكانوا يجتمعون بمأمون الهضيبى ويناقشونه ويسلمونه الأبحاث .. وقام بنسبتها إلى نفسه وسلمها لوالده حسن الهضيبى على أساس أنه هو الذى قام بإعدادها .. والحقيقة أنه لم تكن له أدنى علاقة بهذا الكتاب من قريب أو بعيد .

والذين شاركوا فى إعداد الكتاب - بجانب علماء الأزهر - بعض المعتقلين من الإخوان الذين كانوا يتعاونون معنا مثل عبد المتعال الجابرى وسعد الدين متولى إبراهيم .. وتركنا حسن الهضيبى يسرب الكتاب إلى خارج السجن دون أن يشعر وسهلنا عملية طبعه ونشره .وسيفاجأ الإخوان بهذه المعلومات التى تذاع لأول مرة .

وكان للكتاب أثر كبير فى انكماش فكر التكفير خصوصا داخل المعتقل ، لدرجة أن محمد قطب أخذ جانبا وانعزل عن هذه المجموعة هو وبعض مؤيديه مثل شكرى أحمد مصطفى وسيد عيد يوسف وعلى عبده إسماعيل.. وهؤلاء الثلاثة هم الذين نشروا فكر التكفير بعد خروجهم من السجن .

ومأمون الهضيبى كانت مشكلته دائما أنه الوريث الذى لم يرث .. أخوه إسماعيل كان متحركا أكثر منه وله نشاط بارز مع الإخوان .

أما مأمون فقد اعتقل سنة ٦٥ ، بعد أن أوضحت التحقيقات مع والده أنه كان يحضر بعض الاجتماعات الإخوانية ، لكنه لم يكن أصلا من الإخوان وكان يعمل مستشارا فى القضاء .. وكان والده يستهدف توريثه مقعد المرشد العام للإخوان بعد وفاته .. وأكدت تحقيقات السجن الحربى أن مأمون كان يحضر كثيرا من الاجتماعات مع والده .. ولكن ليست له علاقة تنظيمية محددة مع أى من فصائل الإخوان أو خلاياهم .. وأكد زعماء الإخوان فى التحقيقات أن مأمون لا يصلح مرشدا بعد أبيه ، لانه لم يكن إخوانيا ، ولم يكن متعمقا فى النواحى السياسية والدينية بالقدر الذى يسمح بانتخابه كمرشد عام .

وظل فى المعتقل حتى أفرج عنه السادات سنة ٧١ ، وغيرت سنوات الاعتقال من صورته كثيرا .. ولعب دورا مهما داخل السجن ، لينفى عن الإخوان تهمة تجنيدهم للعنف والإرهاب .. وكان هذا السبب الذى جعله يقوم بدور الوسيط فى كتاب " دعاة ولسنا قضاه " ، وهو من أخطر الوثائق التى تعلن توبة الإخوان ورجوعهم عن الخطأ .. لكنهم للأسف الشديد تنكروا لكل هذه الأفكار والأراء فى السبعينات ، وكانت توجهاتهم تتناقض تماما معها ، خصوصا مقالات مصطفى مشهور فى مجلة الدعوة ، التى عادت من جديد تعمق مفهوم أنهم " الجماعة الإسلامية " أوكل إليهم مهمة رفع راية الإسلام مرة أخرى ، وعداهم لا يصلح لهذه المهمة .

واعتمدت حركتهم فى الشارع على نفس التوجه ، بحيث حاولوا السيطرة على مختلف الجماعات الدينية ، وتوجيههم بطريقة أو بأخرى للقيام بعمليات العنف والإرهاب بعيدا عن جسم الإخوان حتى لا يظهروا فى الصورة ، وأكدت تحقيقات حادث المنصة أنهم نسقوا بالكامل مع الجهاد والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة للتخلص من النظام .

كان ذلك بإيعاز من الهيئة التأسيسية للإخوان التى اتخذت قرارا سنة ٧٤ بالعدول عن الأفكار المعتدلة التى نسبت للهضيبى فى كتاب " دعاة ولسنا قضاه " .. وتكليف عمر التلمسانى بإحياء التنظيم السرى والعمل على محاور مختلفة لاختراق مؤسسات المجتمع .

حسن الهضيبى لم يكن إخوانيا .. وكانت الصدفة وراء تعيينه مرشدا عاما .

فعندما اشتد الصراع بين قادة التنظيم السرى والعلنى فى مكتب الإرشاد ، وكانت الجماعة على وشك حرب أهلية .. اقترح البعض حلا وسطا بتعيين حسن الهضيبى من خارج الإخوان مرشدا عاما للتوفيق بين الجناحين.

وعند قيام الثورة ، امتنع حسن الهضيبى عن تأييدها ، واختفى فى شقته بالأسكندرية أسبوعا كاملا ، حتى كتب لها النجاح وغادر فاروق البلاد متوجها إلى إيطاليا .. فظهر حسن الهضيبى فجأة وأعلن – على استحياء – تأييد الثورة .

رغم ذلك فقد وافقت الثورة على استمرار الهضيبى فى منصب المرشد العام ، فى مرحلة شهر العسل الذى لم يستمر طويلا .. وطلب عبد الناصر من الهضيبى أن يرشح له ، بعض الأسماء الإخوانية لدخول الوزارة بشرط ألا يكون من أعضاء التنظيم السرى ، غير أن الهضيبى حاول أن يفرض أسماء بعينها من نجوم العمل السرى مثل صلاح شادى وكمال عبد الرازق ومنير الدلة وحسن العشمارى .. ورفضت الثورة هذه الأسماء واختارت أحمد حسن الباقورى وعبد العزيز باشا على وأحمد حسنى ، فرفض الإخوان هذه الاسماء وحدث أول صدام مع الثورة .

إلا أن الصدام العنيف كان بين الإخوان أنفسهم سنة ١٩٥٤ ، وانتهى باتخاذ قرار بفصل حسن الهضيبى من منصب المرشد العام ، ومن الوقائع المثيرة فى هذا الصدد أن شخصا يدعى أحمد أنس عبد الوارث الحجاجى، وكان يعمل سكرتيرا خاصا للمرشد السابق حسن البنا ، قدم مذكرة حكى فيها كل تفاصيل الصراع داخل مكتب الإخوان وقدمها كوثيقة مهمة .

وحسب أقوال الحجاجى فإن الهضيبى لم يكن متعاطفا مع الثورة منذ قيامها .. وكان يؤيده فى موقفه المعادى بطانته ومنهم حسن العشماوى وحسين كمال الدين وكمال خليفة .. وظل هذا العداء رغم محاولات القياديين من الجماعة التقرب للثورة .. وقد ذهب وفد من أعضاء التنظيم السرى إلى منزل الهضيبى ونصحوه باتخاذ موقف إيجابى من الثورة ، إلا أنه رفض ، فطالبوه بتقديم استقالته حفاظا على كيان الجماعة .

وقام أعضاء التنظيم السرى باحتلال المركز العام للإخوان بعد رفض الهضيبى تقديم استقالته .. وتوجه كل من الشيخ محمد فرغلى وعبد العزيز كامل لمقابلة الرئيس عبد الناصر ، وأبلغوه ما حدث ، ورجوه أن يفض هذا الإشكال ويخلى المركز العام ، واتفق معهما على أن يقوم بهذه الوساطة ، بشرط أن يعقد مساء نفس اليوم مؤتمر عام يضم مؤيدى ومعارضى الهضيبى لاتخاذ القرارات المناسبة .

ولم ينفذ هذا الاتفاق ، وعقد فى اليوم التالى مؤتمر لأنصار الهضيبى ، وقالوا إنهم نقضوا اتفاقهم مع عبد الناصر لأنه نشر تفاصيله فى الصحف رغم أنهم اتفقوا معه على عدم نشره ، ولهذا اعتبروا الاتفاق كأن لم يكن .

وفى أواخر عام ١٩٥٣ عقدت الهيئة التأسيسية اجتماعا ، ووافقت فيه على قتراح عبدالقادر عودة باختيار الهضيبى مرشدا عاما مدى الحياه .. وكان عودة من المؤيدين للثورة والحاقدين على الهضيبى ، إلا أنه يقول أنه غير موقفه لأن أحد الضباط ويدعى محمد عبد الرحمن نصير تعدى عليه بالضرب بالحذاء ، وبناء عليه اتخذ موقفه المعادى للثورة .

ويقول السكرتير الخاص لحسن البنا أن الهضيبى اختفى قبل حادث المنشية بشهرين ، ودارت عدة اتصالات من قيادات الإخوان بالأحزاب الأخرى وقت اختفاء الهضيبى ، حيث كان سيد قطب مسئول الاتصال بالشيوعيين وطاهر الخشاب بالوفديين ، وعبد المنعم عبد الرءوف بالجيش وكانت هذه الاتصالات لتشكيل جبهة ضد الثورة بعد أزمة مارس سنة ١٩٥٣ .

وقبل حادث محاولة اغتيال عبدالناصر فى المنشية بأيام قلائل اجتمعت الهيئة التأسيسية للإخوان وكانت مكونة من ١٢٠ عضوا للبت فى موقف حسن الهضيبى من الثورة وبحث مصير الجماعة .. وقررت فصل الهضيبى لعدم استطاعته التفاهم مع الثورة .. ولم يعلن القرار على الفور انتظارا لتعيين مرشد جديد .

وبعد ذلك بأيام قليلة - يقول الحجاجى - ارتكب أنصار الهضيبى حادث المنشية ، ردا على فصل الهضيبى من منصبه ، وهدم الثورة .. وبدأت مرحلة الصدام التى استمرت طويلا .

" فحسن البنا - حسب رؤية المطيعى - كانت له عناصر شخصية أثرت فى شكله ، فكانت وسيلة اعتلاء المنابر والتزين بزى الأشياخ ، وإرسال يده إلى شفاه مريديه ليلثموها ، وإحالة نفسه بهالة من القداسة الغامضة التى تعمل عملها فى تخدير البسطاء والسذج والأحداث الصغار المراهقين فى أفكارهم ، ثم يستقطب من بين هؤلاء أكثرهم سذاجة واستسلاما وينظم منهم جيشا يحمى به دعوته ويحقق أهدافه ، وإستخدم فى تجنيد أتباعه أسلوب ربط الدراويش والمريدين وشدهم بحبال العهود والمواثيق إلى شيخهم .. لتعميق معانى الترويض والطاعة " .

" أما حسن الهضيبى فقد ورث تركة جاهزة وليس له من الصفات الدينية ما كان لسلفه ، وإنما أراد أن يلعب دورا سياسيا أشبه بدور الأحزاب .. وأصبح أشبه بمن يقف حارسا على مستودع لا يحسن إدراك ما فيه ، ومن هنا كان ألعوبة فى يد المعسكر الجامح المتمرد من أتباع سلفه "

" وسيد قطب كان يشغل فراغا أدبيا فى المجتمع فانتهز فرصة ضعف الهضيبى وسطا على مركز التوجيه .. وقد أثر القبو المظلم الذى عمل عمله فى تفكير حسن البنا فى الهضيبى تأثيرا جامدا .. وأثر فى سيد قطب تأثيرا عجيبا ، وساعد على عصبيته وحدته ما كان عليه من مرض وهزال ، فأجهض هذه الفصول التى أسماها " معالم فى الطريق " .

" إنها تطفح بالتحريض على نزع الولاء من قلب الضحية نحو وطنه ومجتمعه ، وبالتالى يستبيح حرماته ويدوس مقدساته بحجة حاكمية الله التى اتبعها أبو الأعلى المودودى " .

لم يكن نبشا فى الماضى لنلعق جراحه .. وإنما بحثا عن الجناه الذين صنعوا - وما زالوا يحركون - خيط العنف والإرهاب فى مصر الآمنة .